

تاريخ الاستلام: 2024/09/21 تاريخ القبول: 2024/12/04

ملخص:

من الإشكالات التي تستوقف الباحث في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، أن القيادة التاريخية للتيار الاستقلالي (ممثلة في مصالي الحاج ورفاقه في النضال الطويل والشاق) وبعد أن أوصلت الحركة إلى المرحلة الحاسمة، مرحلة الثورة المباشرة، وقفت عاجزة عن اجتياز الخطوة الأخيرة: أي اتخاذ قرار الشروع في العمل المسلح (أو بالأحرى إشعال فتيل الثورة).

وتحاول هذه الدراسة استعراض أبرز الطروحات التي تناولت هذا الموقف الإشكالي وأهم التفاسير التي قدمت له، كما تسعى إلى مقارنته من منظور عابر للتخصصات انطلاقاً من فرضية مفادها أن القيادة المعنية بقيت حبيسة سياق تاريخي معين لم تستطع تجاوزه، بحيث أدى تثبيت الأساليب التي كانت سبب نجاحها في مراحل سابقة إلى فشلها في هذه المرحلة الأخيرة. كلمات مفتاحية: التيار الاستقلالي، القيادة، الثورة الجزائرية، القصور الذاتي، اتخاذ قرار.

Abstract:

One of the thorny issues facing historians of the (Algerian) national movement is that the historical leadership of the independence movement (Messali El-haj and his comrades in arms), after having led the national movement to its final phase, the phase of “direct action”, was incapable of taking the final step; namely, taking the decision to launch the armed struggle.

This study attempts to review the different theses that have addressed this problematic situation and the most significant explanations given to it. It also seeks to approach it from an interdisciplinary perspective, based on the hypothesis that the leadership in question had remained a prisoner of a specific historical context that it could not overcome; hence the consolidation of the methods that had made it successful in the past had led to its failure during this final stage.

Keywords: Independence movement, leadership, Algerian revolution, inertia, decision-making.

قيادة التيار الاستقلالي في الجزائر بين قرار الثورة والقصور الذاتي 1950-1954

**The leadership of the
independence movement in
Algeria between
revolutionary initiative and
the law of inertia (1950-1954)**

مصطفى سعادوي/
مخبر التاريخ المحلي والذاكرة
الجماعية والمقاربات الجديدة-جامعة
البويرة

(الجزائر)

salisada@gmail.com

المؤلف المرسل:، الإيميل:

يبدو جليا أن قرار الشروع في الكفاح المسلح في الفاتح نوفمبر 1954 جاء تنويجا لعملية تحضير مستمرة وطويلة النفس، وهي -بذلك- نتيجة بديهية يمكن استشرافها بالنظر لما سبقها من تطورات. بيد أن الأحداث الكبرى في التاريخ -كما تثبت ذلك التجارب- لا تحكمها قواعد المنطق السهلة ولا يمكن التنبؤ بها وحلها مثل المعادلات الرياضية سيما في المحطات الحاسمة؛ حيث تغدو الاحتمالات الأكثر استبعادا هي الأكثر قابلية للتحقق. وهذا ما يسري على اندلاع "الثورة الجزائرية"، إذ أن الذين نجحوا في نقلها من مستوى التصور الممكن والمتاح إلى مستوى الفعل القائم هنا والآن هم كوادر متوسطة في التيار الوطني الاستقلالي (بوضياف وزمرته الصغيرة)، وكانوا قليلي العدد، وبإمكانات شبه منعدمة، علاوة على كونهم مطاردين أمنيا ومحاصرين حزبيا... وفي المقابل، فإن قيادة هذا التيار (مصالي ورفاقه في النضال الطويل والشاق)، والتي يعود إليها الفضل على امتداد ما يقارب ثلاث عقود في بلورة مشروع الاستقلال وإنضاج مخطط الثورة، وبعد أن أوصلت النضال الوطني إلى المرحلة الحاسمة، مرحلة "العمل المباشر"، وقفت -بمختلف أطيافها- عاجزة عن اجتياز الخطوة الأخيرة (اتخاذ قرار).

وهنا تستوقفنا إشكالية مزدوجة، وهي مغرية ومربكة معا؛ من نحو كيف نجحت تلك الكوادر المتوسطة رغم افتقارها إلى أدنى الشروط في إحداث النقلة المنشودة؟ ومن نحو آخر: لماذا عجزت هذه القيادة التي كانت معقد الآمال في إشعال فتيل الثورة وإخراج التيار الوطني من الإفلاس والعقم الذي أصابه؟

لاعتبارات منهجية، سنركز في هذه الدراسة على حلحلة الشق الثاني دون الأول من الإشكالية.

1. أطروحتان متعارضتان:

المطلع على الروايات التاريخية والكتابات الأكاديمية التي تطرقت إلى هذه الإشكالية، سيرصد لا محالة أطروحتين متعارضتين بخصوصها:

1-1- أطروحة¹ تنحو إلى وضع مصالي في موقف من يسعى إلى تفجير الثورة في أقرب وقت ممكن، والإضفاء على إدارة الحزب أو بالأحرى التيار المهيمن عليها دور من يجتهد في عرقلة مسعى الزعيم ويعمل على إحباط مشروع الثورة بمختلف الطرق الملتوية. وتؤسس ذلك على بعض الوقائع التاريخية، نذكر منها:



- إعطاء تعليمات لوفد إدارة الحزب الذي زاره في فرنسا غداة عودته من الحج (نوفمبر 1951) بإرسال مجموعة من الشباب الوطني للتكوين عسكريا في القاهرة بالتعاون مع الأمير عبد الكريم الخطابي².
- تكليف القائد الوطني السابق للمنظمة الخاصة حسين آيت أحمد الذي التقاه سرا في غابة شانتيلي Chantilly بإعداد تقرير حول إعادة بعث محتملة للمنظمة الخاصة. وهو ما أنجزه آيت أحمد فعلا وأرسله إليه مع منجي زين العابدين في فيفري 1952³.
- إيفاد القيادي موسى بولكرو إلى الجزائر لبحث الإدارة على الإسراع في تنفيذ التعليمات المتعلقة بانتقاء مجموعة من الإطارات وإرسالها إلى التكوين العسكري في المشرق العربي⁴.
- تأكيد مصالي المستمر على الشروع في الإعداد للعمل المسلح... وفي المقابل قيام الإدارة في كل مرة وبذرائع مختلفة بتجاهل تلك التعليمات أو في أحسن الأحوال بوضعها في الرف. ومن الأمثلة على ذلك ما يورده مولاي مرباح بخصوص قضية بعث المنظمة الخاصة إذ كان كلما طرحها مصالي على إدارة الحزب أجابته بأن مسألة على هذه الدرجة من الخطورة من اختصاص اللجنة المركزية وكلما حاول طرحها على اللجنة المركزية اعترضت بحجة أن مسألة بهذه الخطورة لا يمكن أن تناقش على نطاق واسع بل يجب أن تحصر في نطاق ضيق⁵.
- وأخيرا وليس آخرا، تذهب ذات المصادر إلى أن هذا التوجه كان يزداد قوة في نفس مصالي مع تنامي إحساسه بتقدم سنه وقصر الوقت المتبقي أمامه لإنجاز مشروع الاستقلال الذي كرس له حياته، فقد أفضى إلى بعض مقربيه قبيل الذهاب إلى الحج في أواخر 1951 أنه بلغ 53 سنة ولم يبق أمامه سوى 10 سنوات لإتمام المهمة التي بدأها منذ ما يقارب ثلاث عقود⁶.
- غير أن هذا الطرح وإن صحت الوقائع التي يستند إليها، لا يمكن الركون إليه. وهذا لأنه يعتمد طريقة انتقائية في إعادة بناء الماضي؛ حيث يلقي الضوء على ما يتفق ومحتواه ويضرب صفحا عما سواه.
- 1-2- وفي المقابل، تذهب أطروحة أخرى إلى أن المبادرات الثورية كانت تأتي من جهة الإدارة. وكان مصالي يقابلها بالصد واللامبالاة. وهذه بعض الأمثلة:



- في سنة 1952 بعد نفي مصالي إلى نيور NIORT، قررت إدارة الحزب القيام بهريبه إلى سويسرا ضمن منظور يرمي إلى تفجير الثورة، فأعدت كل ما يلزم لذلك لكن مصالي ومع أنه أعطى موافقته أول الأمر، تراجع في آخر لحظة ورفض المبادرة.⁷
- في أبريل 1953 عُقد المؤتمر الثاني للحركة، وكان أحد أهم القرارات التي خرج بها إنشاء "البركة" وهو الاسم الاصطلاحي الذي أطلق على المنظمة الخاصة في جدول الأعمال. وحتى لا يبقى هذا القرار حبرا على ورق، عمدت اللجنة المركزية الجديدة المنبثقة عن المؤتمر في أول اجتماع لها إلى تشكيل مجموعة من خمسة أعضاء هم: مصالي ولحول وبن خدة ودخلي وبن بولعيد لدراسة كيفية تنفيذه. وتوصلت هذه المجموعة بعد سلسلة من اللقاءات إلى اتفاق يقضي بتكوين منظمة محدودة العدد ومؤلفة من إطارات مكونة تكوينا عسكريا متينا وعدم تجنيد المناضلين إلا بضعة أشهر قبل إعلان الثورة وذلك تجنباً لاحتمال كشفها من مصالح الأمن. وبما أن مصالي لم يشارك في أعمال المجموعة لوجوده في المنفى، انتقل الأمين العام للحزب بن خدة إلى نيور NIORT لاستطلاع رأيه في الخلاصة التي انتهت إليها. فكان جوابه: "لا رأي لي في الموضوع"⁸.
- إحاطة مصالي نفسه بالمعجبين بشخصه الدائرين في فلكه عوض الإطارات الثورية. وهو ما جعل العديد من هؤلاء ينفذون من حوله اقتناعاً منهم بأن هدفه ليس تسريع الإعداد للثورة المسلحة وإنما تدعيم نفوذه والقضاء على خصومه السياسيين.⁹
- اعتراف الرقم الثاني في الحركة المصالية مولاي مرياح "بأنهم كانوا بعيدين عن قرار الثورة لانشغالهم بمعالجة أزمة الحزب ومضاعفاتها"¹⁰. وبخصوص استخدام ألفاظ ثورية على غرار: حزب ثوري، مجلس الثورة... يقول ذات المسؤول: "كنا نتحدث عن التكوين السياسي لتنشيط الحركة ولم نكن نتحدث بصيغة التكوين الثوري"¹¹ أي أن الأمر كان مجرد خطاب فضفاض غرضه جذب الأنصار دون وجود خطة ثورية حقيقية.
- موقف الرفض الذي أبداه الرجل القوي في التيار المصالي عبد الله فيلالي تجاه الأفواج شبه العسكرية التي أنشأها محمد علي خيضر، أحد إطارات "المخ" التي انحازت إلى صف مصالي، إذ قال له في أعقاب مؤتمر هورنو Hornu (جويلية 1954) حسب ما يروي المعني



بالأمر نفسه: "إنني لست موافقا على هذه الأفواج التي تكونها، فمحاولة تكوين منظمة خاصة جديدة تجلب للحزب ضررا كبيرا"¹².

هذا بالإضافة إلى العديد من القرائن التي يقول الأستاذ قنان واضعا السطر تحت بعضها: "تدل بعض المؤشرات على أنه (أي مصالي) لم يكن يتبنى هو نفسه في هذه الفترة فكرة الكفاح المسلح، فرسالته إلى المؤتمر (أفريل 1953) وكذلك تلك التي وجهها للمناضلين بعد ذلك بسنة (ربيع 1954)، يدعوهم فيها إلى تكوين لجان للإنقاذ داخل الحزب بعد سحب ثقته من اللجنة المركزية لا تدعو إلى الاعتقاد بكون موضوع الكفاح المسلح كان يشغل باله في هذه الفترة"¹³.

غير أن هذا المنحى لا يختلف في كثير عن الذي سقنا هذه المعطيات لتفنيده فكلهما يقوم على منظور تبسيطي يرى الواقع بالأبيض والأسود بينما هو يعج بألوان الطيف المختلفة، لذا فهو يعجز عن استيعابه ومن ثم لا يجد بد من جعله عضين أي أجزاء يعارض بعضها البعض.

2. التمييز بين مستويات المعالجة

ولتلافي ذلك، سنميز في معالجة الإشكالية المطروحة بين مستويين:

2-1- مستوى نتناول فيه الشخصيات المعنية كوحدات نفسية مستقلة وفقا لمعادلة الميول. ومن

ثم فالسؤال الذي تهمنا الإجابة عنه هو: هل كانت هذه الشخصيات مع المشروع الثوري أولا؟

وهنا، إذا ترفعنا عن محاكمة النوايا والانسياق وراء الأحكام الانطباعية وانضبطنا بقواعد النقد التاريخي بصرامة، لا نجد سببا للتشكيك في الالتزام الثوري لأولئك القادة. إذ أن دورهم في بناء تنظيم اتخذ من أول يوم الاستقلال هدفا والثورة وسيلة أو انخراطهم المبكر فيه ونضالاتهم المضنية في إطاره ومعاناة السجن والتعذيب والنفي... نتيجة لذلك، يقيم دليلا قويا على صدق التزامهم. وإن علقت بذلك بعض الشوائب فهي لا تعكر صفوه بحال لأنها من القذى الذي يشرب عليه مرارا. وأي الناس تصفو مشاربه!؟

- أما المستوى الثاني، فنتناول فيه هذه الشخصيات كأجزاء من وسط تؤثر فيه وتتأثر به أي كائنات

اجتماعية وهو ما يستتبع تقييم سلوكها وفقا لمعادلة الفعالية أي هل كانت فعالة في سعيها إلى نقل الثورة من مستوى المبدأ إلى مستوى التطبيق؟



بهذا الخصوص، يقدم الواقع التاريخي جوابا سلبيا سواء أعلق الأمر بمصالي أو بخصوصه. وذلك لأن مفهوم الثورة بقي عند الفريقين مجرد تصورات عامة تتصل بالمستقبل وكلما حاولت جهة ما ترجمتها إلى إجراءات عملية تنفذ هنا والآن اعترض أحد الفريقين ودعا إلى التريث بغية استكمال الاستعداد وإنضاج الظروف لضمان النجاح وتفادي المغامرة. وهو موقف تبين وقائع كثيرة بأنه أصبح بمنزلة المنعكس الشرطي الذي لم يستطع أي من الطرفين التخلص من سطوته. فإلى ما يعود ذلك؟

3. تفاسير مختلفة:

3-1- يعزو بعض الدارسين¹⁴ هذه الظاهرة إلى الإرهاق الذي أصاب تلك القيادات من جراء طول النضال وما صاحبه من قمع تخطى كل الحدود... فجعلها تنكفى على نفسها وتصبح أكثر أناة ورصانة، ووصل الأمر بها أحيانا إلى حد التعلق بأوهام العمل الشرعي.

3-2- بيد أن فريق آخر من الدارسين في مقدمتهم الأستاذ حربي يرفضون هذا التفسير ويعتبرونه سطحيا ويذهبون إلى أن سلوك إدارة الحزب بخصوص مسألة الثورة يعبر عن خلفية اجتماعية أكثر من أي شيء آخر¹⁵. فهي لم تدر ظهرها للطريق الثوري بسبب الخوف لكن لأنها أضحت بؤرة لتجمع العناصر البرجوازية التي كانت تحلم بالسير تدريجيا نحو مجتمع عصري وبطرق لا تمس بمكاسبها. لذا "كلما أوشك التحرك الجماهيري -يقول حربي- على جلبهم نحو الاتجاه الثوري كما حصل في ماي 1945 أو في ماي 1952 عندما ردت الجماهير بالإضراب العام على قرار نفي مصالي إلى فرنسا لم يترددوا في تصديق وحدة الصفوف والتراجع حتى يبرهنوا للسلطات الاستعمارية على حسن سيرتهم. فميزان القوى لم يكن في صالحهم وقوتهم الوحيدة تنحصر في سند البرجوازية الضعيف ومؤازرة مثقفي المدن الذين كانوا يحلمون بمشاركة الفرنسيين امتيازاتهم ومصالحهم وترعجهم فكرة القطيعة الكاملة مع الاستعمار أيما إزعاج. فتحقيق الأمة يمر حتما بتحرير الفلاح الذي كان يرزح تحت نير الاستغلال الاستعماري والوطني. وهذا ما لا تريده البرجوازية الجزائرية وكيف تريده الأرض هي ميدان استثمارها الأول"¹⁶.

ومن الجلي للمتأمل في هذا الطرح أنه يقوم على مجموعتين من الركائز. كلاهما موضع جدل كبير:

■ من جهة مسلمات النظرية الماركسية التي تقرر بأن الوضع الاقتصادي - الاجتماعي للإنسان هو الذي يشكل وعيه ويحدد مواقفه وليس العكس، وتجعل من البروليتاريا الطبقة الثورية الوحيدة القادرة على القضاء على الاستغلال أما البرجوازية فهي بوصفها طبقة مهيمنة في المجتمع لابد وأن تكون رجعية لذا تسعى -دوما- إلى المحافظة على مصالحها.



■ ومن جهة أخرى، عدد من الافتراضات التاريخية غير المحققة كوجود الصراع الطبقي في المجتمع الجزائري أثناء الفترة الاستعمارية، علاوة على تصنيف العديد من الشخصيات ضمن الزمرة البرجوازية¹⁷ مع أن ذلك لا ينسجم مع واقعها الاجتماعي على غرار بوداة ولحول...إلخ.

بيد أن العقبة الكأداء التي تعترض طريق هذا الطرح هو عدم تناغمه مع الإيقاع الأساسي للأحداث كما تلقي هاتان الملاحظتان الضوء على ذلك:

➤ وجود ضمن التيار الثوري الكثير من العناصر المحظوظة اجتماعيا والتي يصح نعتها وفقا لمقاييس هذا الطرح بالبرجوازية كالدكتور دباغين وآيت أحمد وبن بولعيد وبن مهيدي وديدوش وبلوزداد وبوتليليس ... وهو ما يدل على أن الوعي الاجتماعي لهؤلاء لم يكن نتيجة للبؤس الذي عانوه وإنما للبؤس الذي كان يعانيه بنو جنسهم كشعب مقهور ومستغل ومهان. بعبارة أخرى، لا يجسد سلوكهم الثوري وعيا طبقيًا وإنما وعيا وطنيًا.

➤ إذا افترضنا مع الطرح المذكور أن موقف الجناح المركزي من الثورة قبل نوفمبر 1954 يفسره انتماء البرجوازي، فكيف نفسر إذا موقف الجناح المصالي المحسوب على البروليتاريا - وفقا للطرح نفسه - علما بأنه كان مشابها لموقف المركزيين كما وضحنا ذلك أعلاه وهو ما يؤكد الأستاذ حربي أيضا، إذ يقول على سبيل المثال: "كان النقد الذي يقوم به هذا التيار (المصالي) خاليا من التفكير الإيجابي حول الشروط الضرورية للقضاء على النظام الاستعماري"¹⁸. فهل يعقل أن نعزو المواقف المتشابهة للطرفين من الثورة إلى "مصالحهما الطبقيّة المتناقضة"؟ طبعًا لا¹⁹. ويفرض هذا علينا البحث عن حل آخر للإشكالية المطروحة.

4. نحو تفسير جديد:

وفي هذا المجال، يبدو لنا من خلال المعطيات المتوفرة بأن السبب الأساسي للظاهرة المدروسة أي عجز قيادة الحزب رغم ميولها الثورية عن اتخاذ قرار ثوري حاسم يخرج الحركة من الإفلاس والعقم الذي أصابها يكمن في بقاءها حبيسة سياق معين لم تستطع تجاوزه. فقد كانت -بلغة "ابن خلدون" بنت عوائدها ومآلوفاتها لا بنت طبيعتها ومزاجها فما ألفته في الأحوال حتى صار خلقا وملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجبلة"²⁰.



ومرد ذلك إلى أن كل جماعة تنشئ بناء على ما حصلته من معلومات وعاشته من تجارب إطارا مرجعيا أي صيغا ومجتمعات عقلية للعناصر المتصلة بحياتها. وهذا يجعلها تدرك ما يحيط بها من أشياء وأحداث في صور ثابتة على الرغم من أن المثيرات التي تتلقاها قد لا تعطي سندا لذلك الثبات الظاهري للمدركات. إلا أن هذا الإطار المرجعي يصبح مع الوقت أشبه برسوم داخل النفس يصعب تعديلها أو بلغة علم النفس اتجاها نمطيا جامدا²¹. وعندها ينتقل من عامل يساعد الجماعة على التفاعل الناجح مع محيطها الخارجي والتماسك القوي في الداخل إلى نقيض ذلك تماما أي إلى عقبة أمام تنافسها مع مستجدات الراهن ودافع قوي إلى التفكك والتحلل.

ويجب - هنا - أن نوضح بأن المقصود بالإطار المرجعي ليس قيم ومبادئ الجماعة وإنما الصيغ والأشكال التي تعبر بها هذه القيم والمبادئ عن نفسها في سياق معين. إذ أن هذه الأخيرة لا تكون في متناول إدراك الجماعة ومن ثم قوة محرّكة لها إلا عندما يقوم بعض الأفراد المبدعين بالتعبير عنها في أشكال وصيغ تتناغم مع الظروف التي تكون عليها الجماعة بيد أن كون الشكل مرتبط بسياق معين أي مؤقتا وبالتالي يحكمه قانون الجمود (الأشياء وليس الأفكار: القصور الذاتي) بينما المبدأ أو المضمون يتميز بالديمومة يؤدي إلى نشوب صراع بين الاثنين، وذلك عندما يشب الأخير عن طوق الأول ويحاول أن يعبر عن نفسه في شكل أكثر تطورا وتكيفا مع البيئة الجديدة، فيتحول عندها الشكل القديم من خادم للمضمون إلى جلال يعمل على قمعه وسجنه في نطاقه حتى لا يفقد مبررات وجوده. وبما أن الجماعة اعتادت إدراك المضمون من خلال الشكل حتى حدث اندماج بين الاثنين في وعيها فإنها في هذا الصراع تنتصر للشكل من حيث لا تشعر. وهو ما يجعلها في نهاية المطاف محكومة بقانون القصور الذاتي الذي يحكم عالم الأشكال.

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور دباغين تظن لهذا الأمر في وقت مبكر نسبيا²²، إذ نبه رفاقه في اجتماع زدين (أواخر 1948) إلى أن حركتهم قد نجحت في جمهرة الوعي الوطني وأنها بصدد مرحلة جديدة تتطلب نقل ذلك الوعي إلى حيز الحقائق المحسوسة وهو ما يحتم تغييرا في طرائق التفكير والعمل وكذلك المسؤولين لإفساح المجال للشباب الذي تربى وتدرّب على العمل الثوري فأصبح بذلك أكثر استعدادا لقيادة المرحلة الجديدة من مسؤولين درجوا على العمل السياسي وسكنوا إليه²³.

وأثبت تطور الأحداث صحة هذا الرأي، إذ لم تستطع قيادة الحزب التخلي ذاتيا عن النضال الشرعي رغم أنه استنفذ أغراضه كوسيلة للتوعية الوطنية²⁴. وذلك نتيجة للإطار المرجعي الذي ران على قلبها وحال دون إدراكها للواقع من حيث أنه جعلها حبيسة ما يسميه "بيكون" بـ "أوهام الكهف"²⁵.



ويتجلى ذلك بوضوح في عدم تجاوبها مع معطيات الواقع الوطني والدولي التي كانت تدفع بقوة إلى الانتقال إلى المرحلة الثورية: كتصاعد المد التحرري في العالم، وتراجع مكانة الدول الاستعمارية، والصراع الدائرين المعسكرين وما كان يتيح من هامش مناورة للشعوب المستضعفة، وفشل النضال الشرعي في الداخل، وتحفز الجماهير للعمل المسلح الخ... ويعود هذا إلى أن التجاوب مع الواقع مشروط بكيفية إدراكه، وكيفية إدراكه تتوقف إلى حد بعيد على حالة واستعداد المدرك، حيث أن معلوماته القبلية وخبراته السابقة تجعله يتوقع أن يدرك أشياء معينة وما يتوقع إدراكه يؤثر فيما يدركه فعلا. وهذا ما تعكسه أدبيات إدارة الحزب كتقرير مؤتمر 1953²⁶ ورسالة مصالي إلى ذات المؤتمر...²⁷ إذ تبين بأن انتباهها كان مشدودا إلى المثيرات السلبية أكثر من غيرها: كحوادث فلسطين التي تمثل نقطة انكسار في منحى التحرر الصاعد، وسياسة المعسكر الشرقي الملتوية والساعية إلى التصالح مع البرجوازيات الغربية على حساب المستعمرات، واستعادة الامبرياليات الأوروبية لحيويتها بفضل مشروع مارشال، وتكتلها في إطار الحلف الأطلسي، زيادة إلى جهل وفقر الشعب الجزائري وانقسام الطبقة السياسية الوطنية...²⁸ لذا كانت هذه الإدارة ترى أن الظروف لم تكن مواتية لاتخاذ قرار الثورة. ويؤكد راجف بلقاسم ذلك فيقول: "بكل نزاهة لم نكن كواحد من قادة الحزب يومئذ نفكر في الثورة وكان الرأي السائد أن الوقت لم يحن بعد"²⁹.

4. خاتمة:

ومن هنا نفهم لماذا لم تستطع قيادة الحزب على الرغم من قناعتها الثورية الراسخة تجسيد ذلك على الأرض، فالسبب يكمن في أن الدوافع (القناعة) والموانع (الظروف) تساوت عندها، فكانت النتيجة انتفاء الفعل الثوري. وبذلك بقيت مجرد قوة تصور وتعبئة ثورية عاجزة عن التحول إلى قوة فعل ثوري، أي أشبه بالمبرد يشحذ ولا يقطع.



الهوامش:

¹- يُنظر:

- Mohammed Harbi, 1993, **Le FLN mirage et réalités, des origines à la prise du pouvoir (1945 – 1962)**, Alger, NAQD / ENAG, P 86-87.
- Benjamin Stora, 1991, **Messali Hadj (1898 – 1974) pionnier du nationalisme Algérien**, Alger, éd RAHMA, p 206-219

محمد حربي، 1994، الثورة الجزائرية: سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، الجزائر، موفم للنشر.

²- يُنظر:

- Mohammed Harbi, 1975, **Aux origines du FLN, le populisme révolutionnaire en Algérie**, Paris, Christian Bourgois, P 123.
- Benjamin Stora, Op.cit, p 210.

³- ينظر:

- Hocine Ait Ahmed, 1990, **Mémoires d'un combattant. L'esprit de l'indépendance, 1942 – 1952**, Alger, éd Bouchene, P 222-223.
- Benjamin Stora, Op.cit., p 210.

⁴ - شهادة بولكروة نقلا عن: Mohammed Harbi, 1975, **Aux origines du FLN**, p 123

- محمد حربي، الثورة الجزائرية، ص 3.

Benjamin Stora, Op.cit, p 210.

يجب أن نسجل هنا أن ما يشير إليه عدد من الكتاب بأن الإدارة لم تنفذ هذه التعليمات (اختيار إطارات لإرسالها إلى المشرق قصد التكوين العسكري) غير صحيح وذلك بدليل شهادات العديد من إطارات المخ أمثال بن طوبال، بيطاط، بن عودة، ... الذين يؤكدون بأن الحزب اقترح عليها الذهاب إلى مصدر التكوين بالأكاديمية العسكرية هناك.

مثلا: لخضر بن طوبال، 1982، شهادة بن طوبال، مجلة أول نوفمبر – العدد 55، ص 55.

⁵- شهادة مولاي مرباح، في محمد عباس، 1992، رواد الوطنية، الجزائر، داردحلب، ص 308.

⁶ - شهادة مولاي مرباح، في المصدر السابق، ص 308.

⁷- يُنظر:

- شهادة أحمد بوداة، في محمد عباس، 1992، رواد الوطنية، الجزائر، داردحلب، ص 76-75.

- شهادة لحول حسين، في محمد عباس، 1992، رواد الوطنية، الجزائر، داردحلب، ص 56.

- Benyoucef Benkhedda, 1989, **Les Origines du 1er Novembre 1954**, Alger, Dahleb, p 204-205

8 -Abderrahmane Kiouane, 1999, **Moments et mouvement national : Textes et positions**, Alger, éd Dahlab, p 315-316.

Benyoucef Benkhedda , op. Cit, p 227-228.

⁹- أحمد مهباس، 2003، الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة الحاج مسعود ومحمد عباس، الجزائر دار القصة، ص 338، 362، 369

¹⁰- شهادة مولاي مرباح، في محمد عباس، 1992، رواد الوطنية، الجزائر، داردحلب، ص 314-315.

¹¹- نفسه.

¹²- شهادة محمد علي خيضر، في محمد عباس، 1992، رواد الوطنية، الجزائر، داردحلب، ص 332-333.

¹³- جمال قنان، 1994، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ص 230.

¹⁴- يقول على سبيل المثال الأستاذ سليمان الشيخ: "والحقيقة أن القيادات القديمة التي أرقها طول النضال مع ما فيه من اعتقالات وسجن ونفي أصبحت خائفة بعض الشيء مما جعلها تتعلق بأوهام العمل الشرعي" يُنظر:



- سليمان الشيخ، 2003، الجزائر تحمل السلاح أوزمن اليقين، ترجمة محمد حافظ الجمالي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ص 62. ويقول أحمد مهساس: "لا مجال هنا للتشكيك في إخلاص أولياء الزعماء و حسن نواياهم إلا أنهم كانوا مهتمين بالمحافظة على الحزب والاحتفاظ بمواقفهم أكثر من اهتمامهم بالتحضير الجاد للمرحلة الثورية المسلحة. لقد أنهكهم السجن والمنفى والقمع المستمر وكانوا يتوجسون خيفة من أن تتكرر مأساة ماي 1945 ويتهيبون من تحمل مسؤوليتها لذلك كانوا يرجحون فكرة انتهاج سياسة حذرة" أحمد محساس، المصدر السابق، ص 235-324.

¹⁵ -Mohammed Harbi , 1991, FLN : Mirage et réalité, p 89.

¹⁶ - محمد حربي، الثورة الجزائرية، ص 170-171.

¹⁷90 - Mohammed Harbi , 1991, FLN : Mirage et réalité, p 89.

¹⁸ - محمد حربي، الثورة الجزائرية، ص 173.

ويؤكد هذا الرأي دارسون آخرون مثلاً الأستاذ سليمان الشيخ: "والحقيقة أنه لا المصاليون ولا المركزيون الذين كان عليهم أن يختاروا بين العمل القانوني والعمل المسلح استطاعوا أن يثبتوا اختيارهم بصورة حقيقية ونهائية. وكان المصاليون الأقرب مبدئياً إلى العمل المباشر يعلقون هذا الأخير على اليوم الذي يحكمون فيه قبضتهم على الحزب وبحكم ذلك يؤجلون هذا الاختيار. وكانوا يلتقون في ذلك بصورة غير مباشرة وبمناخ من المفارقة الغربية مع مواقف المركزيين الأكثر انتهازية بشكل واضح وكلا الفريقين بالرغم من أنهما فهما عبث العمل الشرعي لم يحسما الأمر ولم يقررا الانحياز للعمل المسلح. ذلك أنهما لم يشعرا بالقدرة على القيام به وأقل من ذلك على قيادته، ففضلاً أن يؤجلا الجسم على أن يتنازل عن الأمر لمجموعة بديلة" سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 72-73.

¹⁹ - الظاهر أن الأستاذ حربي يتفق مبدئياً مع هذا التقرير، إذ يقول:

"... ذلك أن المعروف في كافة المجتمعات هو أن الطبقات المندمجة والطبقات المهمشة لا تكون لها مواقف متشابهة إزاء المخاطرة والمغامرة " أنظر: الثورة الجزائرية، ص 3.

²⁰ - عبد الرحمان ابن خلدون، سنة؟، تاريخ العبر، المجلد الأول، لبنان، دار الكتاب اللبناني، ص 219.

²¹ - يقول ابن خلدون في هذا المعنى: "من الغلط الخفي في التاريخ الذمول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل العصور ومرور الأيام وهو داء شديد الخفاء إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة فلا يكاد يتفطن له أحد من أهل الخليفة ". المصدر نفسه، ص 46.

²² - شهادة مسعود بوقادوم، في محمد عباس، 1992، رواد الوطنية، الجزائر، دار دحلب، ص 241، 242؛ مصطفى الأشراف، 1983، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 32-34.

²³ - يبدو أن محمد بلوزداد القائد الأول للمنظمة الخاصة هو أيضاً أدرك هذه الحقيقة على غرار الدكتور دباغين، إذ يذكر السيد بن بلة أن " كان وهو على فراش الموت يتشكك كثيراً في احتمال متابعة إدارة الحزب لجهد الإعداد للكفاح المسلح إلى نهايته الطبيعية وكان رحمه الله يوصي زملاءه بالتيقظ ومتابعة هذا المسعى إلى غايته مهما كان الثمن" نقلاً عن الدكتور جمال قنان، المرجع السابق، ص 231.

²⁴ - يقدم الأستاذ محساس وصفاً دقيقاً لهذه الوضعية، فيقول: "بعد أن أوصل قادة الحزب إلى المرحلة الأخيرة، مرحلة الثورة المباشرة التي كانت الإطارات والمناضلون مستعدين لخوض غمارها، فإذا بهم يبرهنون على عجزهم عن اجتياز الخطوة الأخيرة، لقد تاهوا في دوامة المناورات العقيمة والمشاجرات والصراع على النفوذ، بعيداً عن طموحات القاعدة، وأهدروا قوتها بدل أن يوجهوها ضد القوى الاستعمارية. ولقد أدى ذلك إلى حدوث أولى الصدمات بين الإخوة الأعداء". أحمد مهساس، المصدر السابق، ص 368.

²⁵ - يصنف فرنسيس بيكون في كتابه الطريقة الجديدة "Nouveau organum" الأوهام والمغالطات التي تعوق العقل البشري في سيره إلى الحقيقة ثلاث طوائف هي: أوهام القبيلة، أوهام الكهف، أوهام المسرح. والمقصود بأوهام الكهف تلك المعلومات القبلية والخبرات المحصلة التي تتحول في نفس الإنسان إلى كهف أو غاريكسرنور الواقع ويشوهه".

²⁶ - يُنظر: القسم الثالث: من تقرير اللجنة المركزية المقدم إلى مؤتمر فيفري 1953 في : Abderrahmane Kiouane, Op.cit., p 234-

240

²⁷ - يُنظر: Benjamin Stora, Messali Hadj, Op.cit., p 214.



28- أحمد مهساس، المصدر السابق، ص 330، 328.

شهادة بن يوسف بن خدة، في محمد عباس، 1992، رواد الوطنية، الجزائر، دار دحلب، ص 83.

وقريبا من هذا المعنى يقول سارج برومبرجي : "... أن البرجوازية المسلمة في المدن قد تعودت وألفت النظام الاستعماري إلى درجة أنها لم

تعد تدرك هشاشته". يُنظر: Bromberger Serge, 1958, Les rebelles Algériens, Plan.

29- شهادة راجف بلقاسم، في محمد عباس، 1992، رواد الوطنية، الجزائر، دار دحلب، ص 24.

